تأسيس
مساجد مصر وتونس والاندلس
في القرن الاول الهجري- السابع الميلادي

أ.د. محمد كريم ابراهيم الشمري
كلية التربية للعلوم الانسانية /جامعة بابل
Mohammedkihn60@gmail.com

الخلاصة:
خُصص البحث لدراسة تأسيس المساجد في مصر وتونس والاندلس بعد إكمال عمليات التحرير والفتح العربي – الاسلامي،خلال القرن الأول الهجري - السابع الميلادي،بدءاً بدراسة عمليات التحرير العربي الإسلامي لأرض مصر،بوابة شمال أفريقيا،ومن ثم إستقرار العرب المسلمين فيها وشروعهم في عمليات البناء والإعمار،وأبرزها: تأسيس مسجد الفسطاط،المسمى بـ: مسجد عمرو بن العاص الذي أكمل تحرير مصر كلها من السيطرة البيزنطية.
يُعد المسجد أول خطة من خطط المدينة العربية - الإسلامية،فهو محور المدينة ومركزها ومنه تتفرع باقي خطط المدينة ، لذا بدأنا بدراسة تأسيس مسجد الفسطاط،المعروف بـ:المسجد الجامع،الذي يُعد دلالة واضحة على الوجود العربي الاسلامي،وكان اختطاط هذا المسجد والشروع في تأسيسه سنة ٢١هـ،وقد أوضحنا جلياً في البحث مواصفاته وأبرز معالمه المعمارية والفنية،فضلاً عن دراسة الزيادات والتغييرات التي جرت عليه،كما تضمن البحث دراسة وافية عن مسجد القيروان،المدينة التي اختطها القائد العربي عقبة بن نافع الفهري،وترك بصمات واضحة في بنائها وإعمارها خلال خمس سنوات ٥٠-٥٥هـ،فكان مسجد القيروان اول خطط هذه المدينة العربية – الاسلامية،وقد أوضحنا عمليات التجديد والاضافة والتغيير التي جرت عليه،فضلاً عن التفاصيل الخاصة بمواصفاته المعمارية والفنية،والامر ذاته ينطبق ضمن دراستنا لكل من : جامع الزيتونة في مدينة تونس،الذي اسسه القائد العربي المسلم حسان بن النعمان الغساني،ومسجد مدينة قرطبة في الاندلس،الذي ترتبط قصة بداية تأسيسه بما يشبه قصة تأسيس جامع مدينة دمشق،كونه بُني في موضع كنيسة آلَ نصفها الى المسلمين عند فتحهم مدينة قرطبة سنة ٩٢هـ، وقد درسنا دراسة مُسهبة ومفصلة ابرز مواصفاته المعمارية والفنية وعمليات التجديد والاضافة والتوسيع والتغييرات التي جرت عليه وعلى المساجد الاخرى السابقة له،بعد القرن الاول الهجري-السابع الميلادي،مما يؤكد اهتمام العرب المسلمين بهذه المنشآت المعمارية الدينية بشكل واضح،كونها تمثل الوجود العربي – الاسلامي في كل من : مصر وتونس والاندلس وفي كل بقعة من بقاع المعمورة.

الكلمات المفتاحية: مساجد؛ مصر؛ تونس؛ بلاد الاندلس؛ القرن الأول الهجري.

The Masjids in Egypt, Tunisia and Andalusia
In the first Hijri century - the seventh century A.D

Prof. Dr. Muhammad Karim Ibrahim al-Shammari
College of Arts / University of Babylon
Mohammedkihn60@gmail.com

Abstract:
The research was devoted to the study of the establishment of mosques in Egypt, Tunisia and Andalusia after the completion of the Arab-Islamic liberation and conquest operations, during the first Hijri-seventh century CE, starting with the study of the Arab-Islamic liberation processes of the land of Egypt, the

gateway to North Africa, and then the settlement of Muslim Arabs in it and their initiation of construction and reconstruction operations Most notably: the establishment of the Fustat Mosque, named as: Amr Ibn Al-Aas Mosque, which completed the liberation of all of Egypt from Byzantine control.

The mosque is considered the first plan of the Arab-Islamic city plans, as it is the center and center of the city, and from it the rest of the city's plans branch off, so we began to study the establishment of the Fustat Mosque, known as: the Jami Mosque, which is a clear indication of the Arab Islamic presence, and the planning of this mosque and the initiation of its establishment The year 21 AH, and we have clearly explained in the research its specifications and most prominent architectural and artistic features, as well as studying the increases and changes that took place on it. The years 50-55 AH, the Kairouan Mosque was the first plan of this Arab-Islamic city, and we have clarified the processes of renewal, addition and change that took place on it, as well as the details of its architectural and technical specifications. The Arab Muslim leader, Hassan bin al-Numan al-Ghasani, and the mosque of the city of Cordoba in Andalusia. 92 AH, and we have studied in detail and in detail its most prominent architectural and technical characteristics, the processes of renewal, addition, expansion and changes that took place on it and on other mosques that preceded it, after the first Hijri-seventh century AD, which confirms the interest of the Muslim Arabs in these religious architectural facilities clearly, as they represent the Arab presence - Islam in: Egypt, Tunisia, Andalusia, and in every part of the world.

Keywords: The Masjids; Egypt; Tunisia; Andalusia; the first Hijri century.

تحرير مصر وتمصير الفسطاط:

فكر العرب المسلمون بعد إستقرارهم في بلاد الشام بتأمين حدودهم الجنوبية الغربية وذلك بتحرير مصر من سيطرة الروم ، لما تشكله هذه السيطرة من تهديد خطير على أمن وإستقرار الدولة العربية الاسلامية في كل من بلاد الشام والحجاز ، فضلاً عن أن تحرير مصر يُعَد ضرورة إقتضتها حركة التحرر العربي الاسلامي ؛ لإنها بمثابة بوابة شمال أفريقيا ، وتتمتع بمكانة إقتصادية متميزة توفر للمسلمين أسباب القوة وتتيح لهم مواصلة الاندفاع نحو الشمال الافريقي ، إذ يقول عمرو بن العاص مخاطباً الخليفة عمر : ((إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي أكثر الارض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب))[١]

كان مسير عمرو بن العاص الى مصر سنة ١٩هـ ، فنزل العريش ثم أتى الفرما ، وقضى على مقاومة الروم فيها بعد قتالهم فهزمهم وإستولى على عسكرهم ، ثم مضى قدماً الى الفسطاط فنزل جنان الريحان وقد خندق أهل الفسطاط ، وكان إسم المدينة : أليونة فسماها المسلمون : فسطاطاً ؛ لانهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم ، وقيل أن عمراً ضرب بها فسطاطاً فسميت بذلك ، ولم يلبث عمرو بن العاص وهو محاصراً أهل الفسطاط أن ورد عليهِ الزبير بن العوام بن خويلد في عشرة آلاف مقاتل ، ويُقال في إثني عشر ألفاً ، وكان الزبير يُقاتل في جهة وعمرو بن العاص في جهة أُخرى ، حتى تمكنا من فتح حصن بابليون عنوة .[٢]

وذكر البلاذري [٣] في رواية له عن جماعة ممن شهد تحرير مصر مفادها أن عمرو بن العاص لما فتح الفسطاط وجه عبد الله بن حذافة السهمي الى عين شمس ، فتغلب على أهلها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط ، ووجه خارجة بن حذافة العدوي الى الفيوم والاشمونين وأخميم وقرى الصعيد فعل

مثل ذلك ، ووجه عمير بن وهب الجمحي الى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير ، ففعل مثل ذلك ، ووجه عقبة بن عامر الجهني ويُقال: وردان مولاه (صاحب سوق وردان بمصر) الى سائر قرى أسفل الارض ففعل مثل ذلك ، وهكذا إستجمع عمرو بن العاص تحرير مصر وصارت أرضها أرض خراج . وقيل أن تحرير عمرو بن العاص لمصر كان سنة ٢٠هـ بمشاركة الزبير بن العوام ، فصالحَ أهل البلد على مقدار معلوم من المال ، وهو دينار ان على كل رجل ، وأعفى النساء والصبيان من ذلك ، وقيل أن المقوقس حاكم مصر من قبل الروم صالحَ عمرو بن العاص ، على أن يفرض على القبط دينارين ، ولما بلغ ذلك هرقل سخط أشد السخط ، وبعث الجيوش الى الاسكندرية وأغلقها ، فدخلها عمرو بن العاص عنوة ، أي بإستخدام القوة في قتال الروم ، وهكذا ذهبت الروايات الى أن تحرير مصر تم عنوة بغير عهد ولاعقد .[٤]

سار عمرو بن العاص الى الاسكندرية سنة ٢١هـ ، تاركاً على مصر خارجة بن حذافة العدوي ، وكان الروم والقبط قد وضعوا خطة إستهدفت غزو المسلمين في الفسطاط قبل وصولهم الاسكندرية لإسقاطها ، لكن عمرو بن العاص إلتقى أعدائه في الكريون فهزمهم وقتل منهم أعداداً كبيرة ، ثم سار حتى وصل الاسكندرية ، فوجد أهلها مستعدين للقتال ، إلا أن القبط كانوا راغبين في الصلح ، فأرسل اليه المقوقس طالباً الصلح والمهادنة ، لكن عمرو بن العاص رفض ذلك ، وتم محاصرة المدينة لمدة ثلاثة أشهر ، تمكن بعدها عمرو من دخولها بالقوة وغنم مافيها ، وإستبقى أهلها ولم يقتل ولم يسبِ ، وعاملهم معاملة أهل الذمة كما فعل مع أهل أليونة (الفسطاط) ، وروي أن المقوقس حاكم مصر من قبل الروم صالحَ عمرو بن العاص على ثلاثة عشر ألف دينار ، بشرط أن يُخرج من الاسكندرية من يريد مغادرتها من الروم ، ويسمح لمن يرغب البقاء فيها ، على أن يفرض على كل رجل بالغ سن الرشد من القبط دينارين ، وكتب لهم بذلك كتاباً (عهداً) ، ثم غادر عمرو الاسكندرية بعد أن إستخلف عليها عبد الله بن حذافة بن قيس في رابطة (معسكراً) من المسلمين ، وعاد الى الفسطاط ، وقيل ان قسطنطين بن هرقل ملك الروم إستاء من هذا الاتفاق ، فأرسل رجلاً من أصحابه إسمه (منويل) في ثلثمائة مركب مشحونة بالمقاتلين ، فدخل الاسكندرية وقتل من فيها من المسلمين إلاّ من هرب ونجا ، وبلغ عمراً الخبرفسار إليهم في خمسة عشر ألف مقاتل ، فوجد الروم قد غادروا الاسكندرية وعاثوا فساداً في قرى مصر بعد الاسكندرية ، فالتحموا معهم في الحرب وبعد قتال شديد ولى الروم منهزمين ، فتحصنوا بالإسكندرية ونصبوا العرادات ، فقاتلهم عمرو أشد القتال ونصب المجانيق ففتح أسوار الاسكندرية ثم دخلها بقوة السيف وهرب من هرب من الروم وقتل عدو الله منويل ، واختلفت الروايات في تحديد تاريخ تحرير الاسكندرية بين سنة ٢٣ و٢٥ هـ[٥] ، والمرجح أن تحريرها تم سنة ٢٣هـ .

إختلفت الآراء حول مسألة تأسيس وتمصير الفسطاط والسنة التي إتخذ فيها العرب الفسطاط ، وهو إختلاف يرتبط بحقيقة الامر بالإختلاف السائد بين المؤرخين حول سنة تحرير مصر والاسكندرية ، فمنهم من جعل تحرير مصر سنة ٢٠هـ ، بينما ذَكَرَ آخرون أنها حُرِرَت سنة ٢١هـ ، وإن الاسكندرية تم تحريرها بعد عام أي سنة ٢٢هـ ، وفي الوقت الذي تجتمع فيه آراء هؤلاء الرواة والمؤرخين على أن تحرير مصر تم في حوالي العشرين سنة بعد الهجرة ، فإن إحدى الروايات [٦] ذكرت أن عمرو بن العاص أشار على الخليفة عمر (رض) عندما قدم الى الجابية سنة ١٨هـ بأن يأذن له بالتوجه نحو مصر وتحريرها ، مشيراً عليه بأن فتحها قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهي أكثر الارض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب ، في حين روى البلاذري [٧] ان عمرو بن العاص سار نحو مصر سنة ١٩هـ ، وبذلك نستطيع القول أن اختيار موضع الفسطاط وتأسيس المصر وتمصيره إمتد من سنة ٢٠هـ الى ٢١هـ أو ٢٢هـ .[٨] إتخذ عمرو بن العاص خيمة من الشَعَر (بمعنى فسطاط) عندما كانت قواته تحاصر حصن قصر الشمع ، وإن إتخاذ هذه الخيمة يعني الموضع الذي يتجمع فيه المقاتلون العرب ويمثل مقر القيادة ، وأعقب ذلك الحصار إنتصار العرب وإقتحامهم حصن قصر الشمع ، وكان من أثر ذلك تراجع قوات العدو الى الاسكندرية ، المدينة القديمة الكبيرة ، وبعد توجه عمرو إليها أهمل ذلك الفسطاط لانه لايمثل

أية وحدة عمرانية (طبوغرافية) ثابتة ، وانه لم يُتخذ مصراً بعد ، فضلاً عن أن الانتصار الذي حققه العرب على العدو في الاسكندرية التي حُرِرَت عنوةً بغير عهد ولاعقد ، حتَمَ على القائد عمرو بن العاص ان يفكر بإتخاذ مكان محدد للمقاتلين العرب ، وقد عُرِضَت عليه عدة خيارات أهمها خيار الاسكندرية ؛ وذلك لانها تتمتع بموقع جغرافي وستراتيجي مهم ، كما أنها مدينة مستقرة ، وحسب رواية ابن عبد الحكم [٩] ان عمرو بن العاص رأى بيوتها وبنائها وجمالها فأُعجب بها وأراد أن يسكنها فقال: ((مساكن قد كفيناها)) ، غير أن القرار لم يُنَفَذ وذلك لان الاسكندرية مدينة قديمة لاتتلاءم والتفكير العسكري العربي ، كما انها غير أمينة تجاه أي هجوم بحري _ نهري مفاجيء قد يقوم به العدو فتحصل كارثة ، وكان الخليفة عمر (رض) قد كتب الى عمرو بن العاص حول مواصفات الاسكندرية ، وأكد خصوصية القاعدة التي تمثلت بإتخاذ البصرة والكوفة ، وهي عدم إتخاذ منزل يحول الماء بين المسلمين وبين الخليفة في شتاء ولا صيف ، أي عدم وجود مانع مثل النهر والبحر يحول بين المسلمين ومركز الخلافة في المدينة المنورة ؛ لذلك عرض عمرو بن العاص مشورة الخليفة على جماعته لإختيار موضع آخر ، وهنا ظهر رأي بالعودة الى الخيمة الاولى (الفسطاط) التي سبق أن كانت مقراً للقيادة ، وشدد أنصار هذا الرأي على عدة أمور ، إذ قالوا : ((ترجع [أيها الامير] الى فسطاطك فيكون على ماء وصحراء))[١٠] ؛ لأن الماء والصحراء هما العنصران البارزان اللذان يمثلان ستراتيجية العرب في إتخاذ الامصار ، أي أن الموضع المُنتخب يكون قريباً من مشارب المياه ، وكذلك على طرف البر ومتصل بالصحراء [١١] .

أدى انتقال عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط بالضرورة الى انتقال كرسي الادارة من الاسكندرية أيضاً ، وبذلك صارت الفسطاط المركز الاداري والسياسي بعد ان كانت الاسكندرية ، وبخصوص المرحلة الاولى لتأسيس الفسطاط كان هنالك تفهماً في مسألة تخطيطها ، ولم يكن الامر عشوائياً ، وكما كان الحال في تخطيط البصرة والكوفة ، فإن عمرو بن العاص أولى مهمة إسكان العرب ووضع خطط محلاتهم - وفقاً للقاعدة القبلية - إهتماماً كبيراً ، وعهدَ الى مجموعة من الاشخاص ممن لهم دراية ومعرفة بالامور الهندسية وأنساب العرب لتنفيذ ذلك ، ممن كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي على قبائلهم ، أشهرهم : معاوية بن حديج التُجيبي وشريك بن سمي الغطيفي من قبيلة مراد وعمرو بن مخرم الخولاني وحيويل (وقيل جبريل) بن ناشرة المعافري ، وكان هؤلاء قد أشرفوا على توزيع القبائل والسيطرة على النزاعات التي دارت بين الافراد حول اتخاذ المواضع الملائمة ، ونتيجة لذلك إختط العرب خططهم وبنى الناس الدور والمساجد ، وعرفت كل خطة بإسم القبيلة والجماعة التي اختطتها ، وفي بعض الاحيان حملت الخطط اسماء اشخاص متنفذين قاموا بإختطاطها . [١٢]

وليس من الواضح تماما فيما إذا كان عمرو بن العاص إتخذ عند قدومه ثانية الى فسطاطه ، داره أو قصره المعروف بـ: الدار الصغرى مكان ذلك الفسطاط ،أو تم إتخاذه قبل إختطاطه المسجد الجامع أم العكس ، وإستناداً الى رواية إبن عبد الحكم [١٣] أن عمرو بن العاص بعد عودته وأصحابه من الاسكندرية فكروا في الموضع الذي ينزلون قيه ، واتفقوا أن ينزلوا مكان الفسطاط الاول ، الذي تركه وكان مضروباً في موضع الدار التي عُرفت بـ : دار الحصى عند دار عمرو الصغيرة .

نستنتج مما سبق ان دار عمرو بن العاص بُنيت في موضع الفسطاط ، أي خيمة الشَعر التي نصبها بعد تحرير حصن بابليون ؛ لتكون مُجمعاً لمقاتلة العرب ثم تركها وعاد إليها ثانية بعد رجوعه وأصحابه من الاسكندرية ، فبنيت الدار في موضع الفسطاط ، أي أن الدار بنيت بعد إتخاذ موضع الفسطاط ، لكن الرواية لاتحدد لنا أيهما أسبق : تخطيط المسجد أم دار عمرو بن العاص الصغرى ، ونرجح ان بناء المسجد كان أقدم من بناء الدار ؛ لان المسجد هو الوحدة الطبوغرافية (العمرانية) الاولى عند التفكير والشروع في بناء المدينة العربية – الاسلامية.

١ـ المسجد الجامع في الفسطاط :

يعد المسجد الجامع أول وحدة عمرانية تأسست في المدينة العربية - الاسلامية ، ويتضح لنا مما ذكره ابن عبد الحكم [١٤] في حديثِهِ عن الخطط أن عمرو بن العاص بنى المسجد ، وهذا يعني أن المسجد

كان أول خطط مدينة الفسطاط ، ووصف الموضع الذي بني فيه بأن ما حوله كان حدائق وأعناباً ، فنصب المسلمون الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم ، وكان عمرو بن العاص قائماً حتى وضعوا القبلة أي حددوا موضعها ، وأن عمرو وبمشاركة صحابة رسول الله (ص) قد حددوها ، واتخذ المنبر في ذلك المسجد ، وقيل أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) رفض اتخاذ المنبر وكتب الى عمرو بن العاص بما نصه : ((أما بعد فانه بلغني انك إتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أو ما بحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقيبك فعزمتُ عليك لما كسرته)) .

يتضح لنا مما كتبه الخليفة عمر (رض) أن المنبر لم يكن مُحبذاً في المسجد ؛ لان الأمير يكون في موقع أعلى من الناس ، وأن إمام الصلاة يتقدم المسلمين وهم يقفون وراءه ، لذا أمره بكسر المنبر وعدم إتخاذه ، كما ان مكان المسجد كان بستاناً مليئاً بالحدائق والاعناب ، فاختط المسلمون موضع المسجد وقبلته بإستخدام الحبال تحقيقاً للاستقامة ومنعاً للانحراف والمَيَلان ، حرصاً على دقة الهندسة وانتظام البناء . وكما أشرنا أن موضع المسجد كان أول المواضع التي خططت في مدينة الفسطاط ، واتخذ عمرو بن العاص داره أو قصره في موضع ذلك الفسطاط (أي الخيمة) ، وان تلك الدار التي كانت تسمى أولاً : دار الحصى ثم سميت فيما بعد بـ : الدار الصغرى ، أتخذت في موضع بحذاء المسجد الجامع ، أي بإمتداد المسجد ، وأن داره الكبرى التي ربما بنيت بعد تلك الدار كانت الى جنبها ، ومن المحتمل أن المسجد والدار أُسسا في آن واحد ، ففي رواية[١٥] أن مكان الجامع كان جبانة(مقبرة) ، وقد حاز موضعه قيسبة بن كلثوم التجيبي أحد بني سوم واتخذه منزلاً له ، فلما رجع المسلمون من الاسكندرية ، سأل عمرو قيسبة هذا في منزله أن يجعلهُ مسجداً ، وقد لقي طلب عمرو بن العاص من قيسبة بن كلثوم التجيبي استجابة سريعة بالتنازل عن موضع سبق ان اختاره أو نزله أثناء حصار المسلمين لحصن قصر الشمع ، ويبدو أنه كان بجوار الفسطاط أو قريباً منه ، وقد وافق قيسبة هذا قائلاً :((فإني أتصدق به على المسلمين)) ، وتم فعلاً تسليمه للمسلمين وتحول مع قومه بني سوم في خطة تجيب ، وبذلك اختُطَ المسجد الجامع سنة ٢١هـ/ ٦٤١ م . وهذا يعني أن المسجد أُسِسَ في موضع مجاور بل وقريب جداً من موضع الفسطاط الذي بنى فيه عمرو داره الصغرى ، وكان أبو مسلم الغافقي صاحب رسول الله (ص) يؤذن لعمرو بن العاص ، وقد شوهد وهو يُبخر للمسجد[١٦] .

اختُطَ المسجد الجامع سنة ٢١هـ ، وبلغ طوله خمسون ذراعاً وعرضه ثلاثون ذراعاً ، وقيل انه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلاً من الصحابة بينهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو ذر الغفاري وغيرهم ؛ الامر الذي جعله يستحق إسم : تاج الجوامع [١٧] ، وعلى الرغم مما قيل من إستخدام عمرو بن العاص للحبال في التخطيط وفي تحديد إتجاه القبلة ، فإن قبلته كانت مشرقة جداً ، أي أنها منحرفة أكثر من المعتاد نحو المشرق ، وكانت المنطقة التي بُنيَ فيها المسجد محاطة بالحدائق والأعناب ؛ لذلك إضطر المسلمون الى نصب الحبال حتى استقام لهم وحددوا قبلته [١٨] . وبخصوص وصف الجامع فقد ذكرنا ان طوله كان ٥٠ ذراعاً وعرضه ٣٠ ذراعاً ، وسقفه واطئ جداً ، والمقصود بذلك بيت الصلاة الذي كان يحيط به الطريق من كل جهة ، بدلاً من الصحن ، إذ لم يكن للمسجد في هذه المرحلة صحن ، وكان الناس يصلون في فنائه ، وللمسجد ستة أبواب ، بابان يقابلان دارعمرو بن العاص ، وهي دار الامارة في إتجاه الشرق ، وبابان آخران في جانبه البحري وبابان في جانبه الغربي . [١٩]

اما المسافة التي كانت تفصل بينه وبين دار عمرو بن العاص ، فقد قدرت بسبعة أذرع ، وتجدر الاشارة الى أن المسجد الجامع اتخذ محوراً مركزياً في المدينة ، فقد ذكر أن الطريق الرئيس كان محيطاً به من جميع جوانبه ، وأن قريشاً والانصار وأسلم وغفار وجهينة إتخذوا خططهم حول المسجد . [٢٠]

ولما بدأ الناس بإختطاط منازلهم حول المسجد الجامع في الفسطاط ، كتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب(رض) يخبره فيها انهم إختطوا له داراً مجاورة للمسجد الجامع ، لكن الخليفة

رفض هذا الأمر ، مشيراً الى أنه لايجوز أن يكون لرجل في الحجاز داراً بمصر ، وأمر عمرو بن العاص أن يجعلها سوقاً للمسلمين ، وسميت تلك الدار : دار البركة .[٢١]

عرف المسجد الجامع في الفسطاط بعدة مسميات ، منها : مسجد عمرو بن العاص ، وسمي في العصور التاريخية المتأخرة بـ : المسجد أو الجامع العتيق[٢٢] ، ولعل ذلك يعود الى قِدَم بناء هذا المسجد الجامع الذي بني سنة ٢١هـ ، قرب حصن بابليون في جنات وأعناب ، وكانت خلف محرابه الكبير شجرة الزنزلخت العريقة في القدم من عهد النبي موسى (ع) ، التي قطعت سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٤ م .[٢٣]

وتجدر الاشارة الى ان هذا المسجد الجامع كان الوحيد في مدينة الفسطاط ، ليس في العصر الراشدي فحسب ، بل حتى في العصر الاموي ، واتخذ نموذجاً لمدة ليست بالقصيرة في بناء المساجد الاولى التي كان يطغى عليها طابع البساطة ، إذ كانت على العموم تشتمل على مساجد مستطيلة محاطة بأروقة واسعة ذات سقوف مستندة على صفوف كثيرة من الأعمدة ، يُخصص أكبر هذه الأروقة الأربعة للعبادة ، وتوجد في الساحة بركة للوضوء .[٢٤]

لقد ذكرنا أن عمرو بن العاص إتخذ له منبراً في المسجد ، فكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) أن يكسره فكسره[٢٥] ، كما كان للمسجد محراب لكنه كان بسيطاً جداً[٢٦] ، ولم تكن له مئذنة كما هو الحال في مسجدي البصرة والكوفة[٢٧] ؛ لذلك ظل استخدام الناقوس قائماً في المسجد عند الفجر حتى سنة ٥٣هـ .[٢٨] وقيل ان لمسجد عمرو بن العاص ثلثمائة وثمانية وسبعون عموداً ، وثلاثة محاريب ، وثلاثة عشر باباً ، وخمس مآذن ، تقع ثلاثة من هذه الابواب في الجدار البحري ، وخمسة في الجدار الشرقي ، وأربعة في الجدار الغربي وواحد في الجدار القبلي[٢٩] . والراجح ان هذا الوصف لاينطبق على حال المسجد في سنوات عمرو بن العاص الاولى وإنما على حاله في العصور اللاحقة ، والثابت تاريخياً انه لم تكن لمسجد الفسطاط صفة الزينة أو النقوش البارزة أو الرقائق ، التي كانت إحدى أهم مميزات فن العمارة العربية - الاسلامية في العصور التالية.[٣٠]

ولما كانت الزخرفة مكروهة عند المسلمين ، فإن مسجد الفسطاط لم يشتمل على أية زخرفة ، ومن هنا فإن جدران المسجد قد بنيت باللبن ، وفرشت أرضيته بالحصى ، وكانت أعمدته من جذوع النخيل .[٣١] وهكذا تتضح لنا البساطة في البناء واستخدام المواد الأولية المتوفرة في بناء المسجد الجامع في الفسطاط ، الذي كان ثمرة من ثمرات حروب التحرير العربية - الاسلامية في خلافة عمر بن الخطاب (رض) ، أسوة بمسجدي البصرة والكوفة في العراق ، حيث تم إنجاز هذه المساجد الثلاثة في مرحلة تاريخية متقاربة وفي ظل ظروف متشابهة الى حد كبير .

الزيادات والتغييرات على المسجد الجامع في الفسطاط :

شهد المسجد الجامع في الفسطاط عدة تطورات من إضافات وتحسينات وزيادات وعمليات هدم وبناء ، أهمها ما كان في ولاية مَسلمة بن مخلد بن صامت الانصاري الذي ولي مصر أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٧ هـ ، وقد بدأت أعماله فيما يتعلق بالمسجد الجامع سنة ٥٣ هـ ، أمر مَسلمة بالزيادة في المسجد الجامع فهدم ماكان بناه عمرو بن العاص ، وزاد في المسجد من الجانب البحري واتخذ له رحبة في هذا الجانب وبيّضَه وزخرفهُ لكنه لم يُغير في بنائه القديم ، ووسع المسجد أيضاً من جانبه الشرقي ، حتى ضاق الطريق الذي يربطه بدار عمرو بن العاص ، وفرش أرضه بالحصر ، وكان مفروشاً بالحصى . وقيل أنه جعل للمسجد اربع صوامع (مآذن) للأذان في أركانه الاربعة .[٣٢]

ونظم مَسلمة أيضاً الأذان في المسجد من خلال زيادة عدد المؤذنين ، ومنع إستخدام الناقوس بعد ان أمر ببناء منارة في هذا المسجد وفي سائر المساجد ، وأمر أيضاً ان يكتب إسمه على المنائر ، كما أمر مؤذني المسجد الجامع أن يؤذنوا للفجر إذا مضى نصف الليل ، فإذا فرغوا من آذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد ، وكان لآذانهم دوي شديد[٣٣] ، واختط عبد الرحمن بن عديس البلوي الدار البيضاء ، ويقال كانت تلك الدار صحناً بين يدي المسجد ، ودار عمرو بن العاص موقفاً لخيل المسلمين

على باب المسجد ، ولما قدم مروان بن الحكم الى مصر سنة ٦٥ هـ إبتناها لنفسه داراً ، وقال : ((ماينبغي للخليفة أن يكون ببلد لايكون له بها دار)) ، فبنيت له في شهرين . [٣٤]

وفي ولاية عبد العزيز بن مروان (أخي عبد الملك) تعرض المسجد الجامع للهدم وأعيد بناؤه سنة ٧٧هـ [٣٥] ، وقيل سنة ٧٩هـ ، فزاد في مساحته من ناحية الغرب ، وأدخل فيه الرحبة الواقعة في جانبه البحري ، ولم يجد مجالاً لتوسيع المسجد في الجانب الشرقي منه . [٣٦]

وأمر عبد الله بن عبد الملك والي مصر بعد عبد العزيز في سنة ٨٩هـ برفع سقف مسجد الفسطاط الذي كان واطئاً ، قال الكندي [٣٧] : ((وأمر عبد الله بسقف المسجد الجامع أن يرفع سُمكه وكان سقفه مطأطأً وذلك في سنة تسع وثمانين)) . [٣٨]

عُزل عبد الله عن ولاية مصر وتم تعيين قرة بن شريك العبسي والياً من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فوصلها يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ٩٠هـ ، وفي ذلك يقول الشاعر (من الخفيف):

عجباً ماعجبت حين أتانا أن قد أمرت قرة بن شريك
وعزلتَ الفتى المبارك عنا ثم فيلت فيه رأي أبيك [٣٩]

البيتين اعلاه في الحديث عن الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص).

شهد المسجد الجامع في الفسطاط زيادة مهمة طرأت عليه في خلافة الوليد بن عبد الملك ، الذي شهدت الامصار العربية والاسلامية في عهده عناية خاصة في العمارة ، إذ أمر بإعادة بناء أكثر مساجد الامصار ، منها أمره الى واليه على مصر قرة بن شريك بهدم المسجد الجامع في مستهل سنة ٩٢ هـ ، وإبتدأ في بنائه في شهر شعبان منها ، فأسند مهمة الاشراف على البناء الى يحيى بن حنظلة مولى بني عامر بن لؤي ، وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العَسَل حتى فرغ من بنائه في شهر رمضان سنة ٩٣هـ ، ونصب المنبر الجديد سنة ٩٤ هـ ، ونزع المنبر الذي كان في المسجد ، وذكر ان عمرو بن العاص جعله فيه ، ولعله وُضع فيه بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، الذي منع عمرو من وضع المنبر- كما ذكرنا – وهو منبر عبد العزيز بن مروان . [٤٠]

قام قرة بن شريك بإعادة بناء المسجد الجامع في الفسطاط وزوقه وذهَّب رؤوس الاعمدة ، ولم يكن في المسجد عمود مذهّب الرأس إلا في مجالس قيس ، وحَوّل قرة المنبر حين هدم المسجد الى قيسارية العَسَل ، فكان الناس يصلون الصلوات ويجمعون فيها الجمع حتى أكمل بنيانه ، وكانت القبلة في القيسارية، والقبة التي في وسط الجزيرة بين الجسرين في المسجد الجامع . [٤١]

لقد ذكرنا ان قبلة مسجد عمرو بن العاص في بداية بنائه كانت مُشَرقة جداً ، أي منحرفة نحو المشرق ، وبعد أن هدم قرة بن شريك المسجد المذكور وأعاد بنائه في عهد الوليد بن عبد الملك تيامنَ بها قليلاً ، وكان كثير من المصلين يتيامنون عند الصلاة فيه ، ولم يكن للمسجد الذي بناه عمرو بن العاص محراب مجوف ، فجعل قرة بن شريك المحراب المجوف فيه . [٤٢]

ازدادت مساحة المسجد الجامع في الفسطاط وتم توسيعه بإضافة ماأمكن إضافته اليه ، فقد أخذ بعض دار عمرو بن العاص وإبنه عبد الله فأدخله في المسجد ، وأخذ منهما الطريق التي بين المسجد وبينهما . وعَوّضَ أولاد عمرو من الرباع التي في زقاق مليح في النحاسين وقشرة . [٤٣]

وهكذا عمل قرة بن شريك على زيادة المسجد الجامع في الفسطاط وتوسيعه ، وأمر كذلك بتنميقه وزخرفته وتحسينه ، شأنه في ذلك شأن المساجد التي أمر الوليد بن عبد الملك بإعادة بنائها . [٤٤]

لقد شملت الزيادة والتوسع الجانبين القبلي والشرقي في المسجد الجامع بالفسطاط ، وأمر قرة بعمل المحراب المجوف ، وهو المحراب المعروف بـ : محراب عمرو ؛ لأنه في سَمت محراب المسجد القديم الذي بناه عمرو ، وكانت ؛ قبلة المسجد القديم عند العُمَد المذهبة في صف التوابيت ، وهي أربعة عُمَد : إثنان منها في مقابلة إثنتين، وكان قرة قد ذَهَبَ رؤوسها ، ولم يكن في المسجد عمد مذَّهَبَة غيرها ، ثم زوق أكثر العمد ، ولم يكن للمسجد أيام قرة غير هذا المحراب . أما المحراب الاوسط فيعرف بـ : محراب عمر بن مروان أخي عبد الملك ، ولعله أحدثَهُ في الجدار بعد قرة ، وقيل أن قرة عمل هذين المحرابين ،

وأصبح للجامع أربعة أبواب في شرقيه ، آخرها باب النحاسين ، وفي غربيه أربعة أبواب شارعة في زقاق يعرف بـ : زقاق البلاط ، وفي جانبه البحري ثلاثة أبواب . (٤٥) وفي خلافة مروان بن محمد أمر عبد الملك بن مروان إبن موسى بن نصير اللخمي واليه على مصر سنة ١٣٢هـ بإتخاذ المنابر في القرى ، وكان أقدم منبر في مصر هو منبر قرة بن شريك في المسجد الجامع في الفسطاط بعد منبر رسول الله (ص) ، واستمر كذلك في العصور اللاحقة . (٤٦)

لابد من القول ان العرب المسلمين أخذوا بنظر الاعتبار تطور الحياة ونظرتهم الى الجمال والزينة وميلهم للإكثار من الزخرفة في المساجد ، سيما أنهم وجدوا في البلدان التي حرروها أبنية غاية في الفخامة والأبهة ، مما دعاهم الى الاهتمام أكثر ببيوت الله . (٤٧) مع أن زخرفة المساجد وتزويقها غير مُحبذة من الناحية الشرعية .

وتجدر الاشارة الى أن وجود مسجد عمرو بن العاص في الاسكندرية ، الذي ذكره ابن عبد الحكم (٤٨) كان ضمن خمسة مساجد فيها ، وهو مسجد عمرو بن العاص الكبير . وقد أسس عمرو بن العاص ذلك المسجد بعد تحرير الاسكندرية ، عندما أقبل ومعه عبادة بن الصامت ، ونزل عمرو بن العاص الدار الذي صار لعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ويُقال ان عمراً وهبه له لما ولي البلد ، ونزل أبو ذر الغفاري منزلاً كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو بن العاص مما يلي البحر ، وقد انهدم ونزل معاوية بن حديج موضع داره . (٤٩) لقد ورد ذكر مسجد عمرو بن العاص في الاسكندرية خلال العصر الفاطمي سنة ٣٧٩هـ ، ونقل اليه المنبر القديم الذي كان في مسجد عمرو بالفسطاط أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي في شهر ربيع الاول سنة ٤٠٥ هـ . (٥٠)

كان للمسجد الجامع في الفسطاط دور كبير في شؤون الحياة المختلفة ، شأنه شأن بقية المساجد التي بنيت في الامصار العربية - الاسلامية ، ولم يقتصر دوره على إقامة الصلاة ومنها صلاة الجمعة وبقية الشعائر والمناسبات الدينية ، وإنما كان له دور علمي معروف ، إذ إنعقدت فيه الكثير من الزوايا لتدريس العلوم خاصة الدينية منها ، ولانبالغ إذا قلنا أنه فاق غيره من المساجد في هذا المجال . (٥١)

ومن الجدير بالذكر ان مسجد الفسطاط الذي ضمت أروقته وساحاته وزواياه العديد من حلقات دروس علوم الفقه والحديث ، كان يستخدم ايضاً مركزاً ثقافياً وداراً للوعظ والقضاء قبل استقلاله وتخصيص دار له. (٥٢)، وقد استخدم المسجد للصلاة على الموتى داخله ، واول من صُليَ عليه أبو الحسين سعيد بن عثمان صاحب الشرطة ، الذي توفي فجأة ، فأخرج وصُليَ عليه خلف المقصورة ، وكُبِرَ عليه خمساً ، ولانعلم احداً صُليَ عليه قبل ذلك داخل المسجد الجامع ، ويبدو أن هذا الامر لقي معارضة الناس . (٥٣)

واتخذ المسجد مكاناً لحل مشاكل الرعية من قبل الولاة احياناً ، فقيل ان الأمير عبد العزيز بن مروان بعد إكمال بناء المسجد الجامع في الفسطاط ، إثر هدمه وإعادة بنائه سنة ٧٩هـ ، خرج من دار الذهب عند طلوع الفجر فدخل المسجد وأدرك عدم التزام من كان فيه وخفة تصرفهم ، فأمر بغلق الأبواب عليهم ، ثم دعاهم رجُلاً رجُلاً ، وكان يسأل الرجل إن كان له زوجة ، فيقول : لا ، فيأمر بزواجه ، ويسأل من هو بحاجة الى خادم فيأمر بخدمته ، ومن لم يحج الى بيت الله الحرام يأمر بتسهيل أمر أدائه الحج ، كما أمر بقضاء ديّن من كان مديناً لأحد ، وهكذا أقام ذلك المسجد عامراً لزمن طويل . (٥٤)

نستنتج مما سبق ان المسجد كان مكاناً ملائماً لحل مشاكل المسلمين وقضاء حاجاتهم ، ومن الادلة على ذلك مافعله الامير عبد العزيز بن مروان ، الذي اجتمع بالناس داخل مسجد الفسطاط وأمر بحل تلك المشاكل ، مما يؤكد أنه كان مكاناً يتخذه الولاة للاطلاع على مشاكل الناس وقضاء حاجاتهم .

٢- مسجد القيروان :

واصلَ العرب المسلمون بعد استكمال تحرير مصر سيرهم غرباً باتجاه برقة وزويلة بقيادة عمرو بن العاص ، فصالحَ أهل برقة على دفع الجزية ، وكتب عمرو الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يعلمه أنه ولى عقبة بن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة ، وصار بين برقة وزويلة تحت سيطرة المسلمين ، وقد

أدى مسلمهم الصدقة وأقرَ مُعاهِدهم الجزية ، ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس سنة ٢٢هـ ، وتم تحرير طرابلس بعهد من عمرو ، ولم يوافق الخليفة عمر على توجه الجيش العربي الاسلامي لتحرير إفريقية (تونس) .[٥٥]

بعد تولي الخليفة عثمان بن عفان (رض) الخلافة أمر بعزل عمرو بن العاص عن مصر ، وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ولمّا ولي عبد الله مصر والمغرب كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون أيام عمرو بن العاص ، فأصابوا من أطراف إفريقية وغنموا وكان عبد الله يستأذن الخليفة عثمان (رض) في دخول إفريقية وتحريرها من السيطرة البيزنطية ، فوافق على ذلك وأُسندت قيادة الجيش العربي الاسلامي في المدينة المنورة الى الحارث بن الحكم بن أبي العاص حتى يلتحق بعبد الله بن سعد بن أبي سرح ويصبح تحت قيادته ، وحدد البلاذري [٥٦] موافقة الخليفة عثمان (رض) على ارسال الجيش بعد استشارة كبار الصحابة بين السنوات ٢٧، ٢٨ ، ٢٩ هـ ، وكان سلطان إفريقية من قبل الروم يسمى : جرجير مستقراً في مدينة قرطاجنة ، لكنه خرج عن سلطة هرقل وخلع طاعته وضرب الدنانير وكان سلطته ممتدة مابين طرابلس الى طنجة ، فبثَ عبد الله السرايا وفرّقها فحصلوا على غنائم كثيرة ، وإثر ذلك طلب رؤساء إفريقية من عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم مالاً ،على أن يخرج من بلادهم فوافق على ذلك وعاد الى مصر ولم يولِ على افريقية أحداً ولم يكن لها يومئذ قيروان [٥٧] ، أي أنه لم يتخذ بها قيرواناً ولا مِصراً جامعاً ، وقد تم ذلك بعد قتل جرجير وكان تعداد جيش عبد الله بن سعد نحو عشرة آلاف مقاتل ، وكان تحرير إفريقية في خلافة عثمان بن عفان (رض) سنة ٢٧ هـ .[٥٨]

تولى عمرو بن العاص ولاية مصر ثانيةً في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وتوفي عمرو سنة ٤٢ هـ ويقال سنة ٤٣ هـ ، فتولّى بعده إبنه عبد الله ، ثم ولّى معاوية بعده معاوية بن حديج التجيبي فأقام بها أربع سنوات ، ثم قدم مصر فوجه عقبة بن نافع بن قيس الفهري ، الذي قيل عنه أن معاوية ولاّه المغرب وقام بتحرير إفريقية واختط قيروانها ، وكان موضع غيضة ذات طرفاء وشجر ، لايُرام من السباع والحيات والعقارب القتالة ، وكان عقبة رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة فدعا ربّه ، وأبعد كل ذلك الى درجة أن السباع كانت تحمل أولادها هاربة بها .[٥٩]

إختلف اللغويون حول أصل تسمية القيروان ، فهناك من ذكر أن الكلمة تعني جمعاً من الخيل ، في حين ذكر آخرون أن المقصود من الكلمة معظم الكتيبة أو معظم الجيش أو القافلة ، ويستشهدون بشعر لإمرؤ القيس ورد فيه (مجزوء البسيط)، ويسمى:(مخلع البسيط) :-

وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال .

وهناك رأي ثالث يرى أن القيروان تعني القافلة ، فيقول أبو عبيدة أن كل قافلة قيروان ، وعلى الرغم من وضوح أصل الكلمة العربي في هذه التفسيرات اللغوية ، فإن هناك من يجعل القيروان كلمة أعجمية معربة ، يرجع أصلها الى كلمة كاروان الفارسية ويقصد بها القافلة أيضاً ، لكن ابن منظور والزبيدي دافعا عن الأصل العربي للكلمة ،فضلاً عن أن ورود الكلمة في شعر أمرىء القيس له دلالة في استعمالها العربي القديم ، ويراد بها جمع من الجيش أو الخيل [٦٠] .

يتفق معظم المؤرخين والبلدانيين أن سنة تأسيس القيروان هي ٥٠ هـ ، ولم ترد روايات اخرى تخالف ذلك ، على الرغم من أن معاوية بن حديج التجيبي الذي تولّى تحرير إفريقية سنة ٣٤هـ وصل الى قونية في المغرب واتخذ موضعاً هناك أطلق عليه : القيروان ، لكن ذلك الموضع الذي تأسس قبل سنة ٤٦هـ غير موضع القيروان التي تأسست سنة ٥٠هـ ، وأن مؤسسها عقبة بن نافع بن قيس الفهري الذي بعثه معاوية بن أبي سفيان لتحرير إفريقية ، والظاهر ان الاسمين : إفريقية والقيروان مترادفين الى حد ما في تلك المرحلة التاريخية ، إذ أشار المؤرخون الى أن عقبة بن نافع حرّرَ إفريقية وملكها المسلمون واستقروا فيها واختط مدينة القيروان ، فكأن إفريقية هي كالقيروان أو بمعنى أوسع : تونس [٦١] .

أسهب د٠ عبد الجبار ناجي في دراسة عوامل تأسيس القيروان [٦٢] ، إذ شهدت القيروان بعد تأسيسها تطورات عمرانية واجتماعية سريعة ، خاصة بعد إتساع نطاق هذه الجبهة عسكرياً ، فصارت

القبائل العربية تتوافد على المنطقة ، مما أدى الى زيادة حجمها السكاني ، وقد استغرق بناء القيروان خمس سنوات ٥٠ – ٥٥هـ ، وصارت عاصمة إفريقية إذ ضمت ديوان جميع المغرب وبها دار السلطان ، وكانت مقر ولاية الوالي .

وبخصوص خطط القيروان ، ومنها مسجدها الجامع لابد من أن نشير الى أنه ليست هناك معلومات وافية عن الأسس الهندسية والعمرانية التي استند عليها توزيع خطط القيروان ووحداتها العمرانية ، على عكس مانملك من معلومات بشأن المدن الاسلامية الأخرى ، وكل مالدينا من معلومات تشيرالى أن عقبة بن نافع بعد اختطاطه المسجد الجامع ودار الإمارة ، أقطع الناس المواضع لاتخاذ مساكنهم ، فأسهم هؤلاء في إعمار المدينة ، وامتدت حركة البناء والعمران في الموضع – كما ذكرنا – خمس سنوات ٥٠ – ٥٥هـ ، ومع كل ماسبق نستطيع القول أن عقبة تأثر بتخطيط المدن العربية الأخرى السابقة التي استندت على الأساس القبلي ، وهو استناد توافقه طبيعة المرحلة التاريخية وطبيعة التكوين الاجتماعي للجيش المرافق لعقبة [٦٣] .

تتفق الروايات على أن عقبة خطّ أول خطة في الموضع المنتخب بعد أن استقر رأيه ، وهو المسجد الجامع ودار الإمارة ، وهناك قصة تبين حيرة عقبة قبل بنائه المسجد الجامع تتعلق بتحديد الوجهة الصحيحة للقبلة ، فبات ليلته وهو مهموم ، فاذا به يسمع قائلاً يقول : ((في غد إدخل الجامع فانك تسمع تكبيراً فاتبعه فأي موضع انقطع الصوت فهناك القبلة التي رضيها الله للمسلمين بهذه الأرض)) ، فلما أصبح الصباح دخل موضع الجامع وسمع الصوت ووضع القبلة [٦٤] ، وتوضح لنا هذه القصة ان البناء لم يكن قائماً ، وأن تحديد القبلة لم ينته بعد ، في حين أن رواية البلاذري [٦٥] لاتشير الى مسألة القبلة فقط ، إنما ذكرت أن عقبة بن نافع الفهري لما أراد تمصير القيروان فكر في موضع المسجد ، فرأى في منامه كأن رجلاً أذَن في الموضع الذي جعل فيه مئذنته ، فلما أصبح بنى المنابر في موقف الرجل ثم بنى المسجد ، وهكذا بدأ بناء المسجد واختط الناس مساكنهم حوله .

وبخصوص مادة بناء المسجد، يبدو أن عقبة استخدم مادتي اللِبن والطين ، وذلك اعتماداً على ماذُكر بأن سور القيروان كان مبنياً باللبن والطين حين هدمه زيادة الله بن ابراهيم الأغلبي ، وأشار المقدسي الى أن بيوت الأهالي في القيروان كانت من مدر وآجر، آخذين بنظر الاعتبار أن اشارته تخص القرن الرابع الهجري [٦٦] .

لم يستمر بناء عقبة لمسجد القيروان طويلاً ، إذ قام والي إفريقية حسان بن النعمان الغساني من قبل عبد الملك بن مروان بهدم المسجد الجامع عدا المحراب وإعادة بنائه من جديد ، وذلك بعد وصوله إفريقية سنة ٧٤هـ ، وقيل أن الهدم وإعادة البناء تم بين سنتي ٧٨ – ٨٣هـ ، وقيل أن حساناً هذا حمل أثناء عملية تجديد المسجد الجامع ساريتين حمراوتين من كنيسة كانت في موضع عُرف في القرن الخامس الهجري بـ : القيسارية ، وكانتا ساريتين عجيبتين (لم يُر في البلاد مايقترن بهما) ، وقد جعل حسان هاتين الساريتين مقابل المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب [٦٧] .

تعرض المسجد الجامع في القيروان الى عدة عمليات من الهدم والبناء والتوسيع والتحسين ، ففي خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامل القيروان (بشر بن صفوان) كتاباً يخبره فيه بضيق المسجد الجامع بالناس ، وأن هناك موضعاً قريباً منه تعود ملكيته الى جماعة من قبيلة بهره ، فأمره الخليفة بشرائها وإدخالها في المسجد الجامع ، كما بنى هذا العامل ماجلاً (مخزن مياه) في صحن المسجد وهو المعروف بـ : الماجل القديم يقع غرب البلاطات وبنى صومعة في بئر الجنان[٦٨] ، ويبدو أن بعض الفقهاء كرهوا الصلاة في هذه الزيادة ؛ لأن العامل أكره (أجبر) أهلها على بيعها .[٦٩]

يعد مسجد القيروان من أبدع مساجد الأمصار الاولى من الطراز العربي ، وقد بني سنة ٥٠ هـ من قبل عقبة بن نافع الفهري ، على نسق المسجد النبوي في المدينة ، مثلهُ في ذلكَ مَثل مساجدالأمصار ذات الصحن الأوسط المكشوف ، والمصلى المستطيل الممتد أفقياً على طول جدار القبلة ، ومحرابه من أقدم المحاريب الإسلامية ، إذ يوجد بناء قديم خلف كسوة الرخام المحزم التي تغشي محراب القيروان

الحالي ويقال أن محراب عقبة كان الوحيد الذي حوفظَ عليه دون أن يُهدم عندما قرر الأمير زيادة الله الأول إعادة بناء مسجد عقبة سنة ٢١١هـ ، وكما نوهنا فإن المسجد تناولته أيادي التعديل عدة مرات على عهد أمراء دمشق ، إلا أنهم كانوا يتركون المحراب تبركاً ببناء عقبة [٧٠] .

كان مسجد القيروان مستطيل الشكل ، بلغ عرضه ٧٧متراً وطوله ١٢٦متراً وفيه فسحة كبيرة وبيتاً للصلاة ، وله خمسة أبواب [٧١] ، وكان هذا المسجد يشابه في تخطيطه العام مسجد الفسطاط [٧٢] ، ولئن أظهر الواقع فيما بعد إنحراف قبلة مسجد القيروان عن القبلة الحقيقية ، فإن أي تغيير لم يحدث فيها ؛ لأن هذا التغيير يعني تغييراً في نظام المسجد كله [٧٣]. أما بالنسبة لزخرفة المسجد فمن المؤكد أن محراب المسجد لم يكن مزخرفاً في أول الأمر [٧٤] .

وقد ورد وصف المسجد الجامع في القيروان بِكبر المساحة وعظمة البناء ، وذلك في العصور اللاحقة بعد بنائه ، ذكر المقدسي [٧٥] أنه أكبرمن جامع أحمد بن طولون في العسكر في الفسطاط ، فكان مسجد القيروان يحتوي على أعمدة رخامية بيضاء ، وانه كان مفروشاً ومرازيبه من الرصاص ، وانه ماثل للعيان حتى هذا العصر (القرن الرابع الهجري) ، حيث ينبهر الزائر من عظمة بنائه وكثرة أساطينه ، أما موقعه فكان في وسط الأسواق كما هو الحال في المساجد الجامعة الأخرى ، وكانت له عدة أبواب منها : باب السماط وباب الصرافين وباب الحواريين وباب سوق الخميس وباب الميضأة وباب الخاصة (وكان يقع في التمارين) وباب الرهادنة وباب الفضوليين وباب المئذنة وباب الصباغين ، وهي أسماء تعكس لنا بوضوح توزيع الأسواق المتخصصة حول المسجد الجامع ، وبذلك يمكن اعتبار هذه الوحدة العمرانية بمثابة الوحدة المركزية حيث تتوزع خططها وأسواقها ومحلاتها .

أسهب د٠ سعد زغلول عبد الحميد [٧٦] في دراسة مسجد القيروان ، فوصف منارته وصفاً تفصيلياً، إذ ترتفع الى حوالي (٣١) متراً وتأخذ شكل البرج المربع الشكل ، وطبقاتها الثلاث مربعة الشكل تعلوها قبة ، والطبقة السفلى تكوّن بدن المنارة الرئيسي ، وهي كتلة عظيمة مربعة الشكل مسحوبة الى أعلى ، طول ضلعها الجانبي حوالي ١١متراً وارتفاعها حوالي ٢٠ متراً دون شرفاتها المسننة ويظن أنها ترجع الى سنة ١٠٥هـ ، وبذلك فهي أقدم المآذن الباقية لنا من العمارة الإسلامية الاولى ، والطابق الثاني ارتفاعه خمسة أمتار والثالث ارتفاعه حوالي سبعة أمتار ، وهما معتدلان غير مسحوبين الى الداخل كما هو الحال في البدن [٧٧] ، ونرجح أن هذه المنارة هي التي بناها والي القيروان بشر بن صفوان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ .

وهنالك وصف للمسجد من الخارج ، تضمنَ شكله المستطيل غير المنتظم ، ويزداد عدم الانتظام من الخارج بفضل الدعامات ذات الأشكال والأنواع المختلفة التي تحيط بالمسجد ، وتقوم الأبواب في الجنوب الغربي دائماً بين دعامتين ، ومن السمات البارزة من الخارج القباب الخمسة والمئذنة الضخمة . أما أبواب الجامع السبعة في الحوائط الجانبية ، فإثنان منها ينفتحان على المُصلى والأخرى على أروقة الصحن [٧٨] .

والمسجد من الداخل عبارة عن غابة من الأعمدة ، لذا أطلق الاستاذ أحمد فكري اسم : ((الإسكوب)) وجمعها : أساكيب على البلاط الأفقي الموازي لجدار القبلة في المصلى ، وذلك تشبيهاً بشوارع النخيل ، ففي الجامع ٤١٤ عموداً تحف بـ : ١٧رواقاً معظمها من الطراز الروماني أو البيزنطي التي أعيد استخدامها ، وأن إثنين منها على الأقل من العصر الاسلامي ؛ لأنهما يحملان نقشين كوفيين بارزين أحدهما يُعبر عن الشهادة : ((لاإله إلاالله)) ، والثاني يعبَِّر عن الرسالة : ((محمد رسول الله)) ، والأروقة عمودية على جدار القبلة وعلى البلاطات العرضية وعددها ثمانية ، ولما كان الرواق الأوسط أكثر اتساعاً وكذلك الأمر بالنسبة لبلاط المحراب ، فإنهما يلتقيان عند المحراب في شكل حرف T. [٧٩]

أما الصحن فهو عبارة عن مربع تتراوح أضلاعه في الطول مابين ٦٧ و ٥٠ متراً ، والعقود من جهة الشمال قائمة على أعمدة وفي الجهات الأخرى على دعامات أربعة ، مع عمودين مستقلين في الواجهة ، وتختلف العقود بين مدببة وشكل حدوة الفرس .

والمصلى عبارة عن قاعة أعمدة بها سبعة عشر رواقاً ، ولابأس أن تُكّون القواطع حدود الزيادات التي طرأت على بيت الصلاة القديم مرتين ، وارتفاع الأعمدة حوالي ٥ر٣ متر ، وقطرها مابين ٣٥ – ٤٥ سنتيمتراً وتيجانها مختلفة الأشكال ، وكثير منها لها قواعد ، ومعظمها بدون قاعدة .

أما أعمدة الرواق الاوسط فارتفاعها حوالي ٢٥ر٢ متراً ، وان كانت الاعمدة التي تحمل القبة أمام المحراب أطول منها ، وبعضها ملون ، والعقود كلها حدوة الفرَس مع دورة خفيفة ، وعقود القبة حدوية مدببة ، وبين تاج العمود وسقوط العقد ثلاثة عناصر ، هي : العارضة ، وتكون من حجر أو خشب ، والجبهة – جبهة العقد ، والافريز (الكورنيش) ؛ وذلك لزيادة ارتفاع العمود . وهذا الرواق أكثر اتساعاً من باقي الأروقة . (٨٠)

وبخصوص المحراب والقبة أمامه فهما متأخران ومضافان في عهد أبي ابراهيم أحمد الأغلبي سنة ٢٤٨هـ ، لذلك أشرنا اليهما فقط ، دون الخوض في دراستهما (٨١) ، أما المنبر والمقصورة فهما متأخران ومضافان في العهد نفسه ، ويعد منبر جامع القيروان أقدم المنابر الموجودة حالياً في مساجد الاسلام ، فهو من عمل الأمير أبي ابراهيم أحمد أيضاً ، ومن صناعة بغداد ، وان كان حفره الخشبي يرجع الى العصر الأموي ، بمعنى أن طراز النحت الأموي على الخشب ظل سارياً في العصر الى اكثر من قرن من الزمان . ويرجع تاريخ صنع المقصورة في جامع القيروان الى سنة ٤٣٠هـ تقريباً ، ويلاحظ فيها استمرار التقاليد العباسية مع التقاليد الفاطمية في شكل متوازٍ (٨٢) .

المهم أن زخرفة جامع القيروان تنسجم مع عمارة المساجد التي بدأت واستمرت على طول قرنين الى أن تكاملت ، فهي عموماً بسيطة تتفق مع فن القرن الثاني الهجري ، ثم ازدادت غنىً وثقلاً في القرن الثالث الهجري ، وهكذا بدأ جامع القيروان منذ منتصف القرن الأول الهجري ، وأخذ شكله النهائي في منتصف القرن الثالث الهجري ، فهو من الأعمال التي أنجزت على عهد الدولتين الأموية والعباسية ، لكنه يوضع ضمن طراز المسجد العربي النابع من طراز المسجد النبوي ، كما أنه تأثر بالجامع الأموي في دمشق ، في أن بلاطة القبلة الأفقية والرواق الأوسط العريضين نوعاً مايعطيان عند تلاقيهما عند المحراب شكل حرف T- كما سبقت الاشارة - ، مما يجعل ترتيب المصلين في الجامع أشبه بطائر، رأسه الإمام في المحراب ، وجناحاه جماعة المصلين بالامتداد الأفقي على طول بلاطة المحراب عن يمين ويسار الإمام ، والجسد والذيل جماعة المصلين بامتدادهم الرأسي على طول الرواق الأوسط أوالقاطع العمودي على جدار القبلة وراء المحراب . أما التأثيرات العباسية في مسجد القيروان الجامع ، فتظهرفي الزخرفة وليس في العمارة ، وهذا الأمر ينطبق أيضاً على كل من جامعي : تونس (الزيتونة) وقرطبة . (٨٣)

وبخصوص الفعاليات الوظيفية للمسجد الجامع في القيروان ، فقد أدى نفس الوظائف التي كانت تؤديها المساجد الجامعة في الأمصار العربية والاسلامية ، وفي مقدمتها أداء الواجبات الدينية والاحتفال بالمناسبات وإقامة صلاة الجمعة ، واتخاذه مركزاً لاجتماع المسلمين وتداولهم في شؤونهم المختلفة الدينية (الفقهية) والدنيوية ، كما اتُخذ مركزاً للقضاء وحل الخلافات بين المسلمين ، وكان المسجد مركزاً لاجتماع المسلمين وخروجهم لجهاد أعدائهم ، فضلاً عن اتخاذه مركزاً للتعلم والتعليم .

أصبح مسجد القيروان الجامع منارة للعلم في المغرب الاسلامي قاطبة ، فهو نواة لواحدة من أهم الجامعات الاسلامية ، تخرَّجَ منه علماء كثيرون يفخر بهم العالم الاسلامي على مر العصور ، ومن أشهر العلماء والشيوخ الذين برزوا في هذا المسجد بعلمهم : علي بن زياد تلميذ الإمام مالك بن أنس ، وأسد بن الفرات الذي أقام مدة طويلة في المدينة المنورة ثم ذهب الى العراق ، كما أن القاضي سحنون بن سعيد سافر الى المدينة المنورة للاستزادة من العلم وعاد الى القيروان ؛ ليلقي دروسه في جامعها وليصبح فيما بعد إماماً وقاضياً في القيروان ، وهكذا أدى جامع القيروان دوراً علمياً رائداً ومتميزاً ، أغنى بعلومه وثقافته الحياة في شمالي أفريقيا بصورة خاصة والحياة الفكرية العربية الاسلامية بصورة عامة .(٨٤)

٣- جامع الزيتونة:

تقدم العرب لتحرير شمال أفريقيا وتطهيرها من سيطرة الروم ، وجاء النصر المبين والفتح العظيم لتونس على يد القائد البطل حسان بن النعمان الغساني سنة ٧٩هـ في العصر الأموي ، واتخذ تونس دار إمارة كبديل للعاصمة الإفريقية القديمة قرطاجة ، ولتكون قاعدة بحرية عربية مساعدة للقاعدة البرية في القيروان [٨٥] ، دون تحديد دقيق للسنة التي بنيت فيها مدينة تونس .

بعد اتخاذ حسان مدينة تونس قاعدة لفتوحاته في شمال أفريقيا ، وتأسيس دار الإمارة فيها ، أسس مسجداً جامعاً فيها ، عُرف بـ : جامع الزيتونة ، والمسجد الجامع في تونس ، وبذلك كان جامع تونس من بناء مُنشيء المدينة حسان بن النعمان الذي جدد جامع القيروان – كما ذكرنا – في الوقت نفسه في حدود سنة ٨٤هـ [٨٦] . كان المسجد في بداية تأسيسه بسيطاً في مظهره ، وقد بُني في موضع كنيسة للمسيحيين [٨٧] ، وبقي المسجد على حاله حتى سنة ١١٤هـ ، حيث أمر الوالي العربي عبيد الله بن الحبحاب باعادة بنائه وتجديده ، مما يدل على أنه كان موضع اهتمامه الكبير [٨٨] ، ثم توالت التغييرات والاضافات على جامع الزيتونة في العصور اللاحقة [٨٩] ، وعلى الرغم من أن هذا الجامع كان موضع تحسينات كثيرة ، إلا أن المتعارف عليه ان الجامع بقي على ماكان عليه منذ بنائه الأول ، مما يجعله في صف مساجد الطراز العربي الأول كجامع القيروان [٩٠] .

أما بخصوص تسميته بـ : جامع الزيتونة ، فقيل أن حسان بن النعمان وجد زيتونة متفردة في موضعه ، أو أنه سمي كذلك بسبب شهرة المنطقة بالزيتون [٩١] ، وهكذا اتخذ حسان من تونس مركزاً لولايته في شمال أفريقيا ، وأسس على ساحل البحر المتوسط قاعدة بحرية قرب مدينة قرطاجة ، وقرر العرب بناء دارٍ لصناعة السفن فيها ؛ لتزويد الاسطول العربي الناشيء بقطع بحرية للتصدي للروم وتحقيق سيادة العرب على البحر ، فراحت هذه المدينة تنمو وتكبر حتى اصبحت مدينة عظيمة . [٩٢]

يتكون المسجد من صحن مركزي محاط بالأروقة ، والمُصلى ذو الأعمدة له تسعة أروقة موازية لمحور الجامع من الشمال الى الجنوب ، والرواق الأوسط وكذلك بلاطة المحراب اكثر اتساعاً وارتفاعاً من بقية الأروقة والبلاطات (العرضية) ، وهما يحملان القبة – التي بنيت سنة ٢٥٠هـ في عهد الأغالبة – في موضع التقائهما ، وعلى الطرف الآخر للرواق الأوسط تقوم قبة ثانية تعادل قبة البهو في القيروان [٩٣] .

ضم المسجد خمسة عشر رواقاً ترتكز على أربعة عشر عموداً تتعامد مع حائط القبلة ، وكان رواق المحراب أفضل تلك الأروقة ، فقد بني من الرخام الأحمر الجميل ، عرضه اربعة أمتار وهو أكثر اتساعاً من بقية الأروقة الجانبية وأكثر ارتفاعاً ، وقد أُخذت أعمدة الرخام هذه من المعابد والمباني القديمة، أما أعمدة الحرم (مكان الصلاة) فكانت من الرخام الأبيض البديع الشكل ، لكنها أقل سُمكاً وارتفاعاً من أعمدة رواق القبلة ، وكان للمسجد أربعة أبواب فتحت في الجدران ، بابان منها في حائط القبلة الجنوبي ويقعان على جانبي المحراب ، والبابان الآخران في الجهة الغربية للمسجد . [٩٤]

اما العقود فلها شكل حدوة الفَرَس ، وتقوم على أعمدة قديمة عن طريق ثلاثة عناصر شبيهة بما في القيروان ، وهي : الافريز والجبهة والعارضة ، وتختلف القبة عن قبة القيروان وان كانت مثلها أشبه بطاقية مُضلّعة ، لكنها ترتكز على قبة مستديرة وليست مثمنة ، وهذا يسمح بفتح النوافذ على طول استدارة الرقبة ، والمنطقة الرابعة تحت ذلك مما يعادل منطقة الحنايا في القيروان ، محلاة بمشكاوات مُسطحة وحنايا شبه اسطوانية لها شكل المحارة ، ويعد مسجد الزيتونة من نفس نمط جامع دمشق ، من حيث البناء بلونين مختلفين والحجارة المتبادلة من بيضاء وحمراء [٩٥] .

أما بالنسبة للجوانب الوظيفية التي أداها مسجد الزيتونة ، فهي متعددة كسائر وظائف المساجد الأخرى في الأمصار العربية والاسلامية ، فقد كان مركزاً يتعلم فيه الأهالي اصول دينهم ويتدارسون فيه ثقافة العرب وأصول الاسلام ، وكان مسجد الزيتونة مركزاً للجهاد والدعوة الى نصرة المسلمين ، فكان قلعة وحصناً ومركزاً للدفاع والخطط الحربية ، يتجمع فيه المجاهدون ويرابط فيه المسلمون استعداداً

للذود عن بلادهم ونصرة دينهم . كان مسجد الزيتونة معهداً علمياً درس فيه المسلمون التشريعات الاسلامية وتفسير القرآن وأحاديث الرسول (ص) ، على يد كبار التابعين والمجتهدين ممن تلقوا العلم على كبار الصحابة والمحدّثين الأوائل ، وقد أضيفت للمسجد مكتبة ضخمة ضمت أنفس المصاحف وكتب الحديث والتفسير ؛ لتكون مرجعاً لطلبة العلم ومرجعاً أيضاً لأصول اللغة وقواعدها .

٤ـ مسجد قرطبة :

بعد أن استكمل العرب المسلمون تحرير بلاد المغرب العربي من النفوذ البيزنطي ، باستثناء مدينة سبتة ذات القلاع الحصينة التي كان يحكمها (جوليان) من قبل القوط الغربيين ، ومن خلال جوليان ولدت رغبة لدى العرب في فتح اسبانيا ، إذ أدى هذا الحاكم دوراً مهماً في حث العرب ومساعدتهم على دخول اسبانيا انتقاماً من لذريق ملك القوط لأسباب شخصية ، وقد وضع موسى بن نُصير خطة متكاملة لفتح اسبانيا ، وأُقرت الخطة من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق ، وقام ابن نصير بعدة غارات استكشافية لجس النبض ، تبين من خلالها ضعف المقاومة الاسبانية ، لذا أعد جيشاً كبيراً من سبعة آلاف محارب ، وضع قيادته بيد طارق بن زياد ، ليعبر به المضيق الى اسبانيا ، ثم تبعه بجيش آخر بلغ تعداده ثمانية عشر ألف محارب ليتم فتح اسبانيا حتى شاطىء البحرالشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية [٩٦].

يرجع تاريخ مدينة قرطبة في اسبانيا الى أزمان تاريخية قديمة جداً ، وعندما وصلها العرب المسلمون بقيادة مغيث [٩٧] الرومي مولى الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢هـ ، وجدوها مدينة متكاملة محاطة بسور متين حصين يحتوي عدة أبواب ، ويحيط بالسور خندق تربطه بالسور قنطرة كبيرة مشهورة ، أما داخل المدينة فوجدوا كنيسة وسكة كبيرة تعرف بـ : المحجة العظمى ، يسكنها كثير من الناس ، لذا نستنتج أن العرب لم يكونوا المؤسسين الأوائل للمدينة ، ويبدو أنهم اتبعوا – كما هو الحال في مدينة حلب – أسلوب الزيادات والاضافات العمرانية التي تضفي السمات العربية عليها وتوافق رؤيتهم التمدنية [٩٨] .

وجه طارق بن زياد مغيث الرومي على رأس قوة تتألف من حوالي سبعمائة فارس باتجاه قرطبة، وعند وصول العرب اليها وجدوها مدينة محصنة بسور متين البناء يحيط بها من كل جانب ، ومع تلك الحصانة ووجود الخندق ، فقد مَنَّ الله على المسلمين بالنصر وأفلحوا في اقتحام السور من ثغرة موجودة فيه ، ودخل مغيث وأصحابه المدينة فاحتل قصر حاكمها ، بعد فرار الحامية القوطية المكلفة بحماية المدينة الى كنيسة تقع في الجانب الغربي منها ، فاتخذ مغيث الرومي قصر الحاكم دار إمارة له وبقي فيها حتى تحول عنها بأمر من القائد موسى بن نصير الى دار خاصة ، باعتبار أن ذلك القصر أي قصر الحاكم أصبح داراً لأمير المدينة ، ويتضح لنا من مجريات الأحداث أن مغيثاً اختار المسجد الجامع في هذه المرحلة التاريخية المبكرة في موضع جاهز كما هو الحال في اتخاذ قصر الحاكم دار إمارة ، ومن المحتمل أن مغيث الرومي لم يرغب في الانشغال ببناء مسجد جامع جديد [٩٩] ، ونرجح ان سبب ذلك يعود الى اهتمامه بتوطيد الأمن والاستقرار وترسيخ هيمنة العرب المسلمين على مدينة قرطبة .

حدد بعض الباحثين المحدثين وجود كثير من العناصر المشتركة بين جامع دمشق ومسجد قرطبة الجامع ، وهو أمر مقبول لأن كلاً من المسجدين من بناء الأمويين ، بغض النظر عن الاختلاف المكاني والزماني لبنائهما من الشام الى الأندلس .

ترتبط بداية تأسيس جامع قرطبة بقصة شبيهة بقصة جامع دمشق ، وهي أنه بني في موضع كنيسة آل نصفها الى المسلمين عند دخولهم قرطبة سنة ٩٢هـ ، وهي كنيسة (سان بسنت) [١٠٠] ، فكأن هذا الجامع قد تأثر منذ نشأته بالطراز المسيحي ذي الرواق المركزي الكبير والقاطع الأوسط العريض والرواقين الجانبيين الصغيرين نسبياً ، لكن هنالك اختلافاً بين جامع دمشق وجامع قرطبة وغيره من مساجد الطراز العربي ذي الصحن الأوسط المكشوف على غرار نظام المسجد النبوي في المدينة المنورة، الأمر الذي يتلخص في أن بناء مسجد دمشق تم دفعة واحدة في عهد الوليد بن عبد الملك بين

٨٦- ٩٦هـ ، وفق خطة موضوعة متكاملة على عكس مساجد الأمصار العربيةِ الطراز ، وخاصة في الفسطاط والقيروان وقرطبة ، التي بدأت صغيرة الحجم لتناسب المصر الذي أنشأت فيه ، ثم أخذت تكبر مع نمو المصر وتعاظمه حتى أخذت شكلها النهائي خلال عشرات العقود من السنين عندما بلغ المصر منتهاه من العمران ، وبذلك مثلت مساجد الأمصار تاريخ بلادها ، لذا يمكن القول أن جامع قرطبة يمثل تاريخ الدولة الأموية الثانية في الأندلس [١٠١] .

كان اختيار مغيث الرومي كنيسة قرطبة ليكون قسماً منها مسجداً جامعاً ، ووكل رجل من أصحابه اسمه : حنش الصنعاني لتعيين وجهة قبلة المسجد ، كما أناط أمر تأسيس محراب المسجد الجامع الى شخص آخر هو أبو عبد الرحمن الحبلي ، وبقي الجزء الآخر من الموضع يمثل كنيسة للنصارى ، وتقع هذه الكنيسة داخل مدينة قرطبة تحت السور ، الأمر الذي يجعلنا نرجح السبب الرئيس الذي شجع مغيث الرومي على اختيارها ؛ لأنها تقع وسط المدينة تقريباً ، وهي الطريقة المتبعة في اتخاذ المسجد الجامع في المدن العربية ، فيصبح المسجد بمثابة المحور المركزي للمدينة الذي تتوزع منه أهم الطرق التي تربط داخلها ، وكان موقع الجزء الذي صار المسجد الجامع من الكنيسة يحتل الجانب الغربي في حين ظلت الكنيسة في الجانب الشرقي منه ، ولم ينشغل المسلمون خلال تلك المرحلة في التفنن ببناء المسجد الجامع وزخرفته وعمرانه ، فكان بناؤه بسيطاً مستخدمين اللِبن وسقف بسقائف متلاصقة اتخذت بمدد متعاقبة ، نظراً لتزايد عدد المسلمين والمصلين من جهة ، وضيق البناء البسيط الذي اتخذ عند دخول المسلمين المدينة من جهة أخرى ، فكانوا يزيدون في سقائفه كل مرة الى أن صارت الزيادات في السقائف عائقاً بوجه المصلين ؛ لأن هذه السقائف أقل ارتفاعاً من سابقاتها ، وقد اقتصرت الاضافات على الجهة الشمالية من المسجد ، التي تتدرج في الارتفاع مما أدى الى أن تكون السقائف المضافة أقل ارتفاعاً من تلك السقائف التي أسست في بداية الأمر ، وبقيت أحوال المسجد الجامع هكذا الى أن قام عبد الرحمن الداخل سنة ١٦٨ أو ١٦٩ هـ ببناء المسجد الجامع وتوسيع فنائه [١٠٢] .

إن ماقام به الأمير عبد الرحمن الداخل يمثل مرحلة جديدة تتمثل في اعادة بناء مسجد قرطبة وتوسيعه ، ولانريد الخوض في تفاصيل تلك الإضافات ، لأنها تقع خارج السقف الزمني لدراستنا هذه بعد سقوط الدولة الأموية في بلاد الشام سنة ١٣٢هـ ، لكننا نشير الى أن المسجد الجامع في قرطبة شهد تطوراً عمرانياً كبيراً في عهد عبد الرحمن الداخل يتناسب مع أمجاد الأسرة الأموية في بلاد الشام ، وبلغت كلفة إعادة بنائه (ثمانين ألف دينار) ، وامتدت عمليات التعمير والتوسيع هذه أكثر من سنة ؛ فقيل أن المسجد الجامع صار مهيئاً للصلاة ، على الرغم من وجود بعض النواقص في البناء سنة ١٧٠هـ ، وقيل أنه اكتمل في سنة ١٧١هـ ، واستمرت الزيادات والاضافات في عهود الأمراء الأمويين من بعده ، وقد أسهب المؤلفون في دراستها حتى أواخر القرن الرابع الهجري . [١٠٣]

ولتوضيح صورة مسجد قرطبة بعد الزيادات المتلاحقة والتوسيع الذي شمله ، ننقل وصف المقري [١٠٤] له إتماماً للفائدة وزيادة في الإيضاح ، إذ يقول : ((والجامع الذي ليس في معمور الأرض مثله وطوله مائة ذراع في عرض ثمانين ، وفيه من السواري الكبار ألف سارية ، وفيه مائة وثلاثة عشر ثريا للوقود (الضياء) أكبرها تحمل ألف مصباح ، وفيه من النقوش والرقوم مالايقدر أحد على وصفه ، وبقبلته صناعات تدهش العقول ، وعلى فرجة المحراب سبع قسي قائمة على عُمَد طول كل قوس فوق القامة قد تحير الروم والمسلمون في حُسن وضعها ، وفي عِضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران واثنان لازورديان ، ليس لها قيمة لنفاستها ، وبه منبر ليس على معمور الأرض أنفس منه ولامثله في حُسن صنعته ، وخشبه ساج وأبنوس ...)) .

أسهب د. سعد زغلول عبد الحميد [١٠٥] في وصف المسجد وعناصره ، وأوضح أن الأمر انتهى بمسجد قرطبة في أواخر أيام الأمويين المروانيين في الأندلس ، فأصبح يحتل مساحة مستطيل عظيم طوله ١٧٨متراً من الشمال الى الجنوب ، وعرضه ١٢٥متراً من الشرق الى الغرب ، أي أن مساحته زادت على ٢٢ ألف متر مربع ، فكان ثالث جوامع الاسلام اتساعاً بعد كل من جامعي سامراء (٣٨ألف متر

مربع) و (أبو دلف ٢٨ألف متر مربع) . وفي شمال هذا المستطيل يقع الصحن الذي يكاد يشغل بحدود ثلث مساحة الجامع فقط ، وكان الاتجاه نحو تقليل مساحة الصحن المكشوف بالنسبة الى بيت الصلاة ، وهو أمر نابع من طبيعة البلاد الباردة الى حدٍ ما في الشمال ، وهذا ماحدث في مساجد الأناضول الباردة من الطراز العثماني .

ومن عناصر المسجد الجامع في قرطبة : الصحن ، الذي يُعرف في قرطبة بإسم : ساحة البرتقال ، وتحيط به أروقة مغطاة بسقف محمول على عقود ، وفيه يتبادل كل عمودين مع دعامة ، وتنفتح على واجهة الصحن ١٧ عقداً حدوية ، وذلك أن موضع العقدين الباقيين يوجد في الرواقين الجانبيين ، وكل من تلك العقود يقع بين إطار مستطيل يحده . [١٠٦] وفي الرواق الشمالي للصحن مقابل واجهة بيت الصلاة ، كما في القيروان ودمشق ، توجد المنارة التي أنشأها عبد الرحمن الناصر ، وتحوي ابتكاراً معمارياً جديداً يتمثل في الدرجين اللذين كان أحدهما للصعود والآخر للنزول ، وتجدر الاشارة الى أن ارتفاع منارة قرطبة يعادل ثلاثة أمثال طول ضلعها المربع السفلي .

وبخصوص بيت الصلاة ، كان المصلى غابة من الأعمدة العجيبة في كل اتجاه ، فهو يحوي ١٢٩٣ عموداً مختلفة من الجرانيت واليشب والرخام الأخضر والبنفسجي وغيرهما من المرمر الثمين ، والأعمدة التي يبلغ طولها ثلاثة أمتار مدفونة القواعد في الأرض ، وهي ذوات تيجان متنوعة . [١٠٧]

وفي مجال الزخرفة يلاحظ أن كل هذه العناصر تغطيها سقوف خشبية ذات ألواح وجوائز منحوتة وملونة بألوان زاهية ، وزخرفة بيت الصلاة مدهشة تثير الاعجاب خصوصاً المحراب والأبواب ، وتوجد الزخرفة في كل مكان بالجامع ، فحجارة العقود مزخرفة بأفاريز محفورة عناصرها بالنقوش الكتابية والزهرية المنتظمة ، كذلك الأمر بالنسبة للواجهات المغطاة بالزخرفة منذ القرن الرابع الهجري [١٠٨] .

أما المحراب فيأخذ شكل مشكاة عميقة ، وهو مخطط في مستطيل متعدد الأضلاع عقده حدوي الشكل ، مسقوف بمحارة ، وفي منطقة المحراب يلاحظ إسراف في استخدام العقود المفصصة ، وعلى جانبي المحراب لوحتان رخاميتان مُحلاتان بتفريعات المراوح النخيلية وأشجار الحياة ، وقد أضفى اختفاء المساحات الخالية من الزخرفة وتفريعات المستنات (الدانتلا) الدقيقة ، على المحراب شكلاً رائعاً في فن النحت ، ويعد المحراب القطعة الفنية النوذجية في كل المسجد .

أما بخصوص القبة أمام المحراب ، فهي تنتقل من القاعدة المربعة الى الرقبة المثمنة الى الطاقية المستديرة ، وهي تقدم في النهاية ضلوعاً متقاطعة ، تقسمها الى أشكال مثلثية ونجمية بديعة ، وبذلك تنتج أشكالاً من حشوات هندسية تُملأ بزخارف وشمسيات بديعة ، وهكذا تصل المحاولات الاولى في بناء القبة المضلعة في القيروان وتونس الى ختام ذروتها .[١٠٩]

تمثلت في جامع قرطبة مراحل نضج كثير من العناصر المعمارية والزخرفية ،فضلاً عن ظهور عناصر أخرى مثل : المداميك أو الصنجات من لونين مما يعرف بـ : الأبلق ، وكذلك العقد المفصص والعقود المتقاطعة والمتشابكة ؛ لذلك يحق القول ان العقد الحدوي سوري أصلاً ، ونرجح أن سقف الجامع المكون من الجمالون (الجَملون) الخشبي المغطى بالقرميد يمثل نموذجاً سابقاً في المسجد الأقصى ، أما بخصوص الدعائم التي تحمل العقود المزدوجة على مستويين ، فهي مستوحاة من جامع دمشق .[١١٠]

نستنتج مما سبق مدى تأثر بناء جامع قرطبة وزخرفته بكثير من العناصر المعمارية السائدة في بلاد الشام ، سواء في جامع دمشق أو المسجد الأقصى ، مما يؤكد قوة الصلة بين تراث الأمويين في بلاد الشام سابقاً وتراثهم في الأندلس لاحقاً . وعلى الرغم من تأخر عمارة مسجد قرطبة الجامع الى العصر العباسي ، إذ تمت أواخر القرن الرابع الهجري ، فانه بقي وثيق الصلة بطراز المساجد العربية ، ومثل هذا يقال عن العمارة المدنية الأموية في الاندلس ، ويتمثل ذلك في مدينة الزهراء التي يمكن أن تأتي عقب العمارة المدنية الأموية في بلاد الشام كتطور أخير لها .[١١١]

أصبح المسجد الجامع في قرطبة بعد إعادة بنائه من قبل الأمير عبد الرحمن الداخل آية من الروعة في كل جوانبه المعمارية ، فقد جعل له عشرين باباً مغطاة بالنحاس الأندلسي جرى تخريمها بشكل بديع ،

واشتمل المسجد على ثلاثة أعمدة مميزة حمراء ، كُتب على الأول اسم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى الثاني رسمت صورة لعصا موسى وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غُراب نوح .

من خلال الأوصاف التي سطرها المؤرخون والبلدانيون القدامى عن المسجد الجامع في قرطبة ، فضلاً عن دراسات علماء الآثار المحدثين ، يتبين لنا بجلاء أن العرب على الرغم من أنهم جعلوا المسجد الجامع البسيط جزءاً من الكنيسة ، إلا أنهم بمرور الزمن نشطوا في مجال تعميره وإعادة بنائه وزيادة الكثير من الإضافات والنقوش وأنواع التزيين ، التي تدل دلالة واضحة على سُمو ذوقهم المعماري الفني ، ذلك البناء الشامخ الذي مازال قائماً الى الآن ، يحكي قصة واقعية لتطور فهم العرب واهتمامهم المتزايد برفع شأن هذه الوحدة العمرانية المهمة التي ارتكزت عليها خطط المدينة [١١٢] . اتخذ هذا المسجد الجامع موضعاً تجمع حوله بعض المنشآت الادارية ، منها على سبيل المثال دار القُومة الخاصة بقومة الجامع ، وتقع الى الشمال منه، وهناك دار الصنعة وتقع الى الغرب من المسجد الجامع ، فضلاً عن وجود القصر .

أصبح جامع قرطبة منذ البدايات الاولى لتأسيسه مدرسة وجامعة العلم ، وفد إليها طلاب العلم من المغرب العربي واوربا ، وكان – كما هو الحال في المساجد الجامعة الاخرى – يتحول بعد أوقات الصلاة الى مدرسة يتحلق العلماء حول أعمدته ، يشكلون حلقات للدراسة في شتى العلوم والآداب ، فضلاً عما يقوم به من وظائف قضائية وادارية وسياسية [١١٣] ، وبذلك يكمل جوانبه الوظيفية المتعددة ، وتأتي في مقدمتها وظيفته الدينية المقدسة لأداء الصلاة وصلاة الجمعة وغيرها من الطقوس الدينية في المناسبات الأخرى كالأعياد ومراسيم العبادة في شهر رمضان المبارك ، والتجمع للخروج لمقارعة أعداء الاسلام تحت لواء الجهاد في سبيل الله .

هوامش ومصادر البحث

١) إبن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر وأخبارها ، (ليدن ، ١٩٢٠) ، ص٥٦ .
٢) المصدر نفسه ص ٥٦-٦٤ ، البلاذري ، ابو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) . فتوح البلـــدان ، باشراف : لجنة تحقيق التراث ، منشورات مكتبة الهلال ، (بيروت ،١٩٨٨م) ، ص ٢١٠ – ٢١١، عمر فروخ . تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية ص ١٠٢- ١٠٣ . يُنظر عن تحرير مصر روايات أخرى : البلاذري . فتوح البلدان ص ٢١٢ - ٢١٥ .
٣) فتوح البلدان ص ٢١٤ .
٤) المصدر نفسه ص ٢١٦ .
٥) المصدر نفسه ص ٢١٧ – ٢١٩ . وذكر د.عمر فروخ ان العرب حرروا الاسكندرية صلحاً سنة ٢١هـ ، ثم عاد الروم فاستردوها ، وبعد أربع سنوات حرر العرب الاسكندرية نهائياً (أي سنة ٢٥هـ) ، وأصبحت مصر كلها في حكمهم . تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية ص١٠٣ .
٦) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص٥٦ .
٧) فتوح البلدان ص٢١٠.
٨) د.عبد الجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ١٧٨-١٧٩ .
٩) فتوح مصر ص٩١.
١٠) البغدادي . صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق . مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، ج ٣ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٥٥م) ، ص ١٠٣٦ .
١١) يُنظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ص٩١، ناجي .دراسات ص١٧٩-١٨١ .
١٢) البغدادي. مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٠٣٦ ، ناجي . دراسات ص ١٨١ ، عن خطط الاهالي في الفسطاط ، يُنظر : المرجع نفسه ص ١٨٦-١٩١ .
١٣) فتوح مصر ص ٩١ .
١٤) المصدر نفسه ص ٩١-٩٢ .
١٥) الحموي . معجم البلدان مج ٤ ص ٢٦٥ ، مراصد الاطلاع ج ٣ص ١٠٣٦ ،إبن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ م) ، ص ٦٦ . (وذكر ان الموضع كان أصلاً خاناً) ،راجع أيضاً: ناجي . دراسات ص ١٨٢ .
١٦) إبن عبد الحكم . فتوح مصر وأخبارها ص ٩٢ .

١٧) د.سعد زغلول عبد الحميد . العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٨٣ .
١٨) د.عبد الجبار ناجي .دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص١٨٢ ، د. سعد زعلول .العمارة ص ٨٣ .
١٩) الحموي. معجم البلدان.مج ٤ ص ٢٦٥، القزويني. أخبار البلاد ص ٢٣٦ البغدادي. مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٠٣٦، إبن تغري بردي. النجوم الزاهرة ج١ص٦٧، د.سعد زغلول. العمارة ص ٨٣ ، ناجي. دراسات ص ١٨٢ .
٢٠) إبن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٩٨ (عن تفصيل خططهم يُنظر: المصدر نفسه ص ٩٨-١٢٨) ، ناجي ، . دراسات ص ١٨٢ .
٢١) إبن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٩٢ .
٢٢) ناجي .دراسات ص ١٨٢ .
٢٣) د.سعد زغلول . العمارة ص ٨٢ .
٢٤) لوبون . حضارة العرب ص ٢٢٩ .
٢٥) إبن عبد الحكم . فتوح مصر ص ٩٢ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ٦٧/١ .
٢٦) لوبون . حضارة العرب ص٢٣٠ .
٢٧) سالم ، د. عبد العزيز . المآذن المصرية ، منشورات مؤسسة الشباب للطباعة والنشر (بيروت ، د.ت) ، ص ١٠ .
٢٨) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج ١ ص٦٨ ، سالم . المآذن المصرية ص ١٠ .
٢٩) يُنظر عن وصف جامع عمرو بن العاص : المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر ، (ت : ٣٨٠هـ / ٩٩٠م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م)، ص ١٦٦، حوري ياسين. المسجد ص ٩٢ .
٣٠) لوبون . حضارة العرب ص ٢٣١ .
٣١) علي الطنطاوي . الجامع الاموي في دمشق ص ٤٨ .
٣٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ص ١٣١ ، الكندي ، محمد بن يوسف . كتاب الولاة وكتاب القضاة ، باعتناء : رفن گست، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت ، ١٩٠٨ م) ، ص ٣٨- ٣٩ ، الحموي . معجم البلدان مج ٤ ص ٢٦٥ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرةج١ ص ٦٨ ، ناجي . دراسات ص ١٨٢.
٣٣) الكندي . كتاب الولاة ص ٣٩ ، ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٨ .
٣٤) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٠٧ .
٣٥) المصدر نفسه ص ١٣١ ، الكندي . كتاب الولاة ص ٥١ .
٣٦) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٨ ، ناجي . دراسات ص ١٨٣ .
٣٧) كتاب الولاة ص ٦٠ .
٣٨) ذكر إبن تغري بردي ان عبد العزيز بن مروان هو الذي أمر برفع سقف الجامع وكان مطأطأً سنة ٨٩ هـ . النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٩ .
٣٩) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص١٣١ .
٤٠) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج١ص٦٩ .
٤١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٣١- ١٣٢ .
٤٢) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٧ ، ٧٠ .
٤٣) المصدر نفسه ص ٧٠ ، وكانت زيادة قرة بن شريك من الجانبين القبلي والشرقي .
٤٤) الحموي . معجم البلدان مج ٤ ص ٢٦٥ .
٤٥) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج٧٠/١ – ٧١ .
٤٦) المصدر نفسه ص ٧٠ ، ولم يزل المنبر كذلك حتى قُلع وكُسر أيام العزيز بالله نزار الفاطمي سنة ٣٧٩ هـ ، وجعل مكانه منبر مذهب .
٤٧) مرزوق ، محمد عبد العزيز . الفنون الزخرفية الاسلامية في مصر قبل الفاطميين ، الطبعة الاولى ، المطبعة الفنية الحديثة ، (القاهرة ، ١٩٧٤ م) ، ص ٢٩ .
٤٨) فتوح مصر وأخبارها ص ٤١ – ٤٢ .
٤٩) المصدر نفسه ص ١٣٠ .
٥٠) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ج٧٠/١ .
٥١) ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، (ت :٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة ، منشورات دار صادر ، الطبعة الاولى ، (بيروت ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م) ، ص ٢٣ . لين ، أدوارد وليم . المجتمع العربي في العصور الوسطى ، ترجمة: علي حسني الخربوطلي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، د.ت) ، ص ١٨- ١٩ ، سعد مرسي أحمد وسعيد إسماعيل علي . تاريخ التربية والتعليم ، ص ٢٢٩ .

٥٢) الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري ، (ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت ، د.ت) ، ص ٥٣ ، طلس . التربية والتعليم في الاسلام ص ٦٢ ، شلبي . تاريخ التربية الاسلامية ص ٩١ .
٥٣) ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ج٦٨/١ .
٥٤) المصدر نفسه ج ١ / ٦٩ .
٥٥) البلاذري . فتوح البلدان ص ٣١٤ – ٣١٧ ، وروى عن ابن الكلبي أن أفريقيس بن قيس بن صيفي الحميري غلب على إفريقية في الجاهلية ، فسميت به وهو الذي قتل جرجير ملكها . المصدر نفسه ص ٢٢٧ .
٥٦) المصدر نفسه ص ٣١٧ .
٥٧) قال عنها الحموي : ((انها معربة من الفارسية كاروان)) ، وقد وردت لفظة قيروان في الشعر الجاهلي ، قال أمرىء القيس : **وغـــارة ذات قـيروان كـأن أسرابـها الرعـال .** معجم البلدان مج ٤ ص ٤٢٠ .
٥٨) للتفصيل يُنظر: ابن عبد الحكم. فتوح مصر وأخبارها ص ١٨٣ – ١٨٧ ، البلاذري. فتوح البلدان ص ٢٢٣ - ٢٢٥.
٥٩) ابن عبد الحكم. فتوح مصر ص ١٩٦، البلاذري، فتوح البلدان ص٢٢٦ - ٢٢٧ ، سالم. تاريخ المغرب الكبير ص ٢٠٥.
٦٠) ناجي . دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٢١٣ .
٦١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ص ١٩٣ – ١٩٦ ، البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٢٧ ، الحموي . معجم البلدان مج ٤ص ٤٢١ ، ناجي . دراسات ص ٢١١ – ٢١٢ ، فروخ . تاريخ صدر الاسلام ص ١٣١ ، للتفصيل ينظر : خالد خليل حمودي . مدينة القيروان ومسجدها الجامع ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع عشر ، (بغداد ، ١٩٨١م) ، ص ٢٩٦ – ٣١٢ .
٦٢) دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٢١٣ – ٢١٦ ، وعن مميزات ذلك الموضع، راجع : المرجع نفسه ص ٢١٦ – ٢١٨ .
٦٣) المرجع نفسه ص ٢١٩ ، فروخ . تاريخ صدر الاسلام ص ١٣١ .
٦٤) البلاذري . فتوح البلدان ص ٢٢٧ ، الحموي . معجم البلدان مج ٤ ص ٤٢١ ، ناجي . دراسات ص ٢١٩ ، سالم . تاريخ المغرب الكبير ص ٢٠٥ -٢٠٦ .
٦٥) فتوح البلدان ص ٣٢٢ .
٦٦) ناجي . دراسات ص ٢١٩ .
٦٧) فكري ، احمد . مسجد القيروان ، مطبعة المعارف ، (القاهرة ، ١٩٣٦م) ، ص ١٢ ، د٠ سعد زغلول . العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٢٩١ ، ناجي . دراسات ص ٢١٩ – ٢٢٠ .
٦٨) ذكر د٠ سعد زغلول عبد الحميد أنه ينسب الى بشر بن صفوان بناء المئذنة الحالية سنة ١٠٥ هـ . العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٢٩١ ، يُنظر ايضاً : فكري . مسجد القيروان ص ١٢ – ١٣.
وهناك من ذكر أن المئذنة التي بناها حسان بن النعمان الغساني والتي ماتزال قائمة الى الآن تعود الى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، يُنظر : حوري ياسين حسين . المسجد ص ١٠٢ ، وهذا غير صحيح .
٦٩) ناجي . دراسات ص ٢٢٠ ، وأشار الى أن عملية هدم وبناء مسجد القيروان تمت في عهد والي القيروان يزيد بن حاتم سنة ١٥٥هـ ، وعملية هدم أخرى في عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب . يُنظر ايضاً : فكري . مسجد القيروان ص ١٣ – ١٤ ، د. سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٢٩١ – ٢٩٢ .
٧٠) د. سعد زغلول عبد الحميد . العمارة والفنون ص ٢٩١-٢٩٢ .
٧١) أحمد فكري . مسجد القيروان ، ص ٢٠ . وذكر د. ناجي أن طول المسجد ٢٢٠ ذراعاً (حوالي ١٠٠م) وعرضه ١٥٠ ذراعاً (٧٥م) . دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٢٢٠ ، ويبدو أن ذلك بعد الزيادة والتوسع في عهد الأغالبة .
٧٢) هل ، ي . الحضارة العربية ، ترجمة : ابراهيم احمد العدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة ، ١٩٥٦م) ، ص ١٢٨ ، يُنظر ايضاً : فكري . مسجد القيروان ص ٨٠ .
٧٣) احمد فكري . مسجد القيروان ص ٢٢ .
٧٤) هل . الحضارة العربية ص ١٢٩ .
٧٥) أحسن التقاسيم ص ١٨٣ ، يُنظر أيضاً :ناجي . دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٢٢٠ – ٢٢١ .
٧٦) العمارة والفنون ص ٢٩١ – ٢٩٨ ، يُنظر أيضاً : فكري . مسجد القيروان ص ١٢ – ٢٦ .
٧٧) المرجع نفسه ص ٢٩٢ ، يُنظر ايضاً : فكري . مسجد القيروان ص ٢٣ .
٧٨) المرجع نفسه ص ٢٩٣ .
٧٩) د. سعد زغلول عبد الحميد . العمارة والفنون ص ٢٩٤ – ٢٩٥ ، فكري . مسجد القيروان ص ٢٤ .
٨٠) المرجع نفسه ص ٢٩٥ – ٢٩٦ ، فكري . مسجد القيروان ص ٢١ ، ٢٤ .
٨١) المرجع نفسه ص ٢٩٦ – ٢٩٧ ، فكري . مسجد القيروان ص ٢٢ .

٨٢) المرجع نفسه ص ٢٩٨ .
٨٣) حوري ياسين . المسجد ص ١٢٨ – ١٢٩ .
٨٤) محمد الحسيني عبد العزيز . الحياة العلمية في الدولة الاسلامية ص ١٣٥ ، د. سعد زغلول عبد الحميد . العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٢٩٩ .
٨٥) د. سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٢٩٩ ، وهنالك اختلافات حول تاريخ تجديد حسان لجامع القيروان ، فقيل سنة ٧٤ هـ . ناجي . دراسات ص ٢١٩ ، وقيل سنة ٧٦هـ . سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٢٩١ ، وقيل بين ٧٨ – ٨٣ هـ . أحمد فكري . مسجد القيروان ص ١٢ .
٨٦) محمد الحسيني . الحياة العلمية ص ١٣٥ ، ويذكر أن الكنيسة شيدت في القرن الثامن الميلادي !أي القرن الثاني الهجري ، وهذا غير صحيح فكيف شيد حسان مكانها الجامع في القرن الاول الهجري؟
٨٧) محمد الحسيني . الحياة العلمية ص ١٣٦ ، سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٢٩٩ ، ربيس ، سليمان مصطفى . بين الآثار الاسلامية في تونس ، (تونس ، ١٩٦٣م) ، ص ٣٨ .
٨٨) أعيد البناء في عهد الخليفة العباسي المستعين بالله سنة ٢٥٠هـ من قبل واليه على تونس أبي ابراهيم أحمد بن محمد الأغلبي وعهد أخيه ابو محمد زيادة الله . يُنظر : محمد الحسيني . الحياة العلمية ص ١٣٧ ونفس المرجعين الآخرين أعلاه في الهامش ماقبله.
٨٩) د. سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٢٩٩ .
٩٠) حوري ياسين . المسجد ص ١٠٣ .
٩١) محمد الحسيني . الحياة العلمية ص ١٣٦ .
٩٢) د. سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .
٩٣) محمد الحسيني . الحياة العلمية ص ١٣٦ .
٩٤) د. سعد زغلول . العمارة والفنون ص ٣٠٠ – ٣٠١ .
٩٥) محمد الحسيني . الحياة العلمية ص ١٣٥ – ١٣٦ ، حوري ياسين. المسجد ص ١٢٩ – ١٣٠ .
٩٦) العبادي ، د. أحمد مختار . دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، (الاسكندرية ، ١٩٨٢م) ، ص ٢ – ٣٥ .
٩٧) سماه ابن عبد الحكم : معتب الرومي غلام الوليد بن عبد الملك . فتوح مصر ص ٢٠٧ .
٩٨) ناجي . دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٣٥٣ ، وقد أسهب في دراسة دوافع اتخاذ العرب مدينة قرطبة مركزاً للجيوش العربية الاسلامية . المرجع نفسه ص ٣٥٥ – ٣٦١ .
٩٩) المرجع نفسه ص ٣٦٣ .
١٠٠) سماها د. عبد الجبار ناجي : كنيسة شنت بنجنت . دراسات ص ٣٦٣ .
١٠١) د. سعد زغلول عبد الحميد . العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٣٠١ – ٣٠٢ .
١٠٢) ناجي . دراسات ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .
١٠٣) راجع للتفصيل : المقري ، أحمد بن محمد المغربي التلمساني . نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د. ت) ، ص ٩٥ – ١٠٠ ، د. سعد زغلول عبد الحميد . العمارة والفنون ص ٣٠٢ – ٣٠٣ ، ناجي . دراسات ص ٣٦٤ – ٣٦٥ ، عبد العزيز سالم . المآذن المصرية ص ٩ ، مرزوق ، محمد عبد العزيز . الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس ص ٢١ .
١٠٤) نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥ .
١٠٥) العمارة والفنون في دولة الاسلام ص ٣٠٤ – ٣٠٨ .
١٠٦) المرجع نفسه ص ٣٠٥ .
١٠٧) المرجع نفسه والصفحة ، وعن الأعمدة والعقود ، راجع : نفسه ص ٣٠٦ .
١٠٨) المرجع نفسه ص ٣٠٦ .
١٠٩) المرجع نفسه ص ٣٠٧ .
١١٠) المرجع نفسه ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .
١١١) المرجع نفسه ص ٣٠٨ .
١١٢) ناجي . دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ص ٣٦٤ – ٣٦٥، وقد أفاض في نقل وجهات نظر المؤرخين والبلدانيين عن المسجد الجامع في قرطبة ومواصفاته الفنية والمعمارية .
١١٣) المرجع نفسه ص ٣٦٥ – ٣٦٦ ، يُنظر أيضاً : حوري ياسين حسين . المسجد ص ١٣١- ١٣٢ .